الثائر الساذج

للكاتب الروسي ليو تولستوي
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

تعريف بالقصة

من بين الناحيات الخطيرة التى تناولها تولستوى بقلمه ناحية المظالم الشاملة لأبناء أمته . التى تجسمت فى مخيلته الخصبة فأنتج آثاره الخالدة : « المشنوقون السبعة » و « لم أعد أطيق على السكوت صبراً » و « الثائر الساذج » التى تنقل إلى العربية للمرة الأولى ، وقد كان مخطوطها بين الأوراق التى حملها تولستوى فى فراره مع ابنته كاترينا وصديقه الدكتور جوليتشوف ، قبيل وفاته بأيام معدودة ، وقد اعتبرها النقاد جزءاً من وصيته إلى شعبه ، فعنى بها وأحلها من الأدب الرفيع أعلى مكانة ، وكأن الأقدار أبت إلا أن ترفع الحجاب عن بصيرته فتحققت نبوءته بزوال الحكم القيصرى بعد وفاته بسبع سنين ، ولا يزال جمال أخفاء الروحى المرفرف على صفحات هذه القصة الخالدة دليلا على قدرة الكاتب الناقد البصيرة على اختراق حجب الغيب فى أسلوب رائع جمع بين دقة التصوير وجلال الفن القصصي

كان فيكتورفيد روفسكي ضحيـة الجواسيس ، يتبعونه إلى كل مكان ، ويتعقبون خطاه ، ويقتفون آثاره ، لأنه كان فيما مضى مشبوهاً [1] وكان اسمه فى رأس الأسماء التى تحملها القوائم السوداء ، فى مكاتب « أوخرانا » [2] الخفية . وكانت الشرطة السياسية فى موسكو وبطرسبرج توقع العقوبات بالشبهات ، فكل مشبوه لديها متهم ، وكل متهم فى نظرها مذنب . فلما هاجر فيكتور إلى لوزان بسويسرا ليلتحق بجامعتها حتى يتم دراسة الرياضيات العليـا التى بدأها فى كلية الهندسة بمدينة أورالوف شعر بأن وراءه جاسوساً يتبعه ، وكأنه صحبه من حـدود روسيا إلى صميم سويسرا فقال محدثاً نفسه : لن أصبر على هذا الرجل ولن أدعه يقتفى أثرى فى بلاد الغربة ، ولا بد من أن أرغمه على الاعتراف لى بملة تتبعى ، وأذكره بأننا فى جمهورية حرة ، ولسنا فى شوارع موسكو أو بطرسبرج ، وأن أتهدده بكشف القناع عن حرفته أو أرفع شكواى إلى رياسة الشرطة ، محتجاً بتحريم التجسس على الأبرياء فى بلد أجنبى . فإذا ما خشى الفضيحـة وهرب من وجهى عـدت أدراجى إلى محطة السكة الحديدية حيث تركت فيهـا متاعى لأتسلق سلم المركبة الأولى التى تصادفنى فى أول قطار يحملنى إلى مقرى ومرتعى ... إلى مدام جابونسكى ، إلى أحضان تلك المرأة الحنون ، فإذا ماسألتنى عن عودتى غير المنتظرة ، بعـد القلق المقيم المقعد الذى ساورنى قبل عيد الفصح أجبتها فى إيجاز بأننى رضيت من الغنيمة بالإياب لأنى ما كنت أستطيع البعد عن بيتى . فقد اكتشفت فى هـذا السفر القصير أنى مصاب بداء الخوف كالسنور الذى يعلو ظهره وتنتفخ أوداجـه وتيبعث أعصابه المهتـاجة بشعره الناعم ، فيصير كالشوك ، ويتحفز للهجوم على غريمه كائناً ما كان

(١) المشبوه فى الأدب الروسى هو المتهم بالثورة على حكم القيصر

(٢) إدارة البوليس السرى السياسى فى روسيا القيصرية

لينشب فيه أظفاره التي تخفيها كفه الملساء ، لقد حاولت أن أضلل الجاسوس ، ولكن ذهب تدبيري سدى .

وبعد فإنني أعود أدراجي لأن بالمكان الذي وصفوه لإقامتي سجناً كبيراً ومشرحة . أما السجن فلا عجب ، لأن بأطراف المدن وبضواحيها قد تبنى السجون ؛ أما المشرحة فما شأنها في جوار هذا المنزل ، وفي مثل هذا اليوم الشديد القيظ كأنه من أيام جهنم ؟ يا له من يوم له ما بعده !

كنت عدوًّا دائماً لمن يخضعون للأقدار ، وأسخر من الذين ينصحون بالاستسلام للقضاء المحتوم وأرميهم بالجبن والعجز والخور ؛ وهأنذا قد لعبت بي أيدي الأقضية والأقدار كما تلعب الأطفال بالكرة ... فكيف المفر ، وإلى أين الهرب ؟ ليس لديّ من الوقت ما يكفي لتقليب الفكر وتدبير الأمور على مهل ، ولم يعُد في صدري متسع للصبر والتأمل . فوطدت نفسي على الحرب التي لا هوادة فيها ولا رحمة ؛ وكان الجاسوس لا يزال قابعاً في مقعده بمركبة القطار ينتظر مغادرتي إياه ليتبعني متابعة الظل ، فلم أستطع أن أخيب أمله إلا بطريقة واحدة وهي أن أبقى في القطار لأعود به ، متظاهراً أنني ما قصدت من هذه السفرة المتعبة الطويلة إلا الارتياد والاستطلاع ... وهذا أمر جائز ومباح ، خصوصاً وأنا خالي الوفاض ، فلا متاع ولا أحمال توهم أنني كنت قادماً للإقامة ؛ وكانت السلامة مكفولة بهذا الحل السريع المنقذ ، ولكن كرامتي أبت عليّ التسليم ، وكراهتي للرجل دفعت بي للنزال ، فجمعت نفسي ونهضت ونزلت ، فنزل الجاسوس ، ومشيت فسار ورائي يتعقبني ... وقبل أن أستدير لأشتبك معه معاركاً وأنا لا أعلم مدى ما تؤدي إليه المعركة ، إذا بالرجل الذي ظننته جاسوساً محترفاً يقف فجأة ويقول لي : ڤيكتور ! ڤيشنكا ! ... داسكويا ... ! ڤيشا ... ألا تذكرني ؟ ألا تعرفني ؟ وكانت هذه كلها ألقاب تعزيز وتدليل يناديني بها رفاق الصغار في المدرسة اقتداء بمربيتي وخادمي في تدليلي

وكان الرجل يخاطبني بالروسية الفصحى ، أيكون الكسندر براڤسكي ، أم خياله الحي ؟ فوقفت على سلم القطار وقلت له : من تكون أنت ؟ قال : أنا ... أنا ساشا براڤسكي ، براڤسكويا ... ألا تذكرني ؟ وارتمى المسكين في حضني وهو يبكي ، فلقد غادر البائس بيت الموتى ... سجن سيبيريا منذ حين هارباً من أيدي أعدائه وأعدائي . كان ساشا قرويًّا ابن فلاح ، دخل في خدمة مثّال اسمه بوريا كلامسكي ، لا يزيد أجره على روبلين يتقاضاهما في كل أسبوع ، وما لبث الصغير أن أظهر ميلاً تشُد أزره موهبة فائقة مولودة معه ، فكان يحسن الحفر في الخشب وتأليف الألوان الزاهية والقاتمة لصبغ تماثيل العذراء ويسوع والقديسين ، وبرع في إظهار علائم الحزن وأمارة الانقباض أو الفرح التي تبدو على وجوه الشهداء كما كان يراهم في كنائس المدينة ، وكان المثال يبعث به إلى الأسواق والموالد ليبيع تهاويل الرسل والملائكة ، فيجلس ليبسطها بين يديه على قطعة من القطيفة الباهتة ، ثم يبقى في انتظار هواة الايمان ممن لا يضنون على أرواحهم بكوبك (١) أو اثنين ليشتروا بهما رمز معبود أو نصف معبود ! ليزينوا

(١) كوبك عملة روسية تعدل قرشين صاغاً

بها حجراتهم القروية ويشعلوا تحت أقدامها قناديل الزيت التقليدية ...

فكان الموجيك من أهل القرى يرد السوق فى حفل من أهله وجيرانه ، فإذا فرغ من البيع والشراء والأكل والشرب واللهو البرىء أو غيره ، طاف بأطراف السوق حتى إذا ما لمح « فرش » الأرباب والملائكة ، وقف على رأس الغلام ولمس المعبود بقدمه سائلاً عن ثمنه ، فإذا علمه ما كس ما شاءت المماكسة حتى يصل إلى الثمن الذى يرتضيه فيلتقط التمثال الذى وطأته قدمه ، فيقبله ويضعه فى جيبه بحرص وعناية ، ثم يخرج قطعة الفضة الصغيرة وينقد الصبى ثمنه وينقلب إلى أهله حاملاً تمثال ربه فى ثنايا « كازاكه »[1]

وكان ساشا الصغير يعجب لهذا المسلك ويضحك ثم يأسف على فنه الضائع بين هذه القطعان الشاحبة الكالحة التى تعد من بنى الانسان وليست منهم . ثم أخذ يثور على الديانة التى تحتسبهم من تابعيها وعلى الكهنوت الذى يصبر على عمايتهم ويستغل ما هم فيه من غفلة بالغة . وما انقضت عليه ثلاثة أعوام بين المصنع والأسواق حتى شكا إلى أمه ما يلاقيه من ألم النفس وتعب البدن ، طالباً إليها أن تحث أباه على إرساله إلى المدرسة

فصممت الأم على تنفيذ رغبته ، وقرّعت الوالد على رضائه بأن ينشأ طفلهما على هذه المهانة وهاهو ذا قد نما وترعرع ، ومارس الصناعة والتجارة ولم يفد منها مالاً يذكر ، لأن جهوده عائدة كلها على معلمه بوريا الذى لم يُعلمْه إلا ما رآه ملائماً لمصلحته الخاصة ، فلا بُدّ من إرساله فى بعثة تعليمية إلى بطرسبرج ليتلقى الفنون الجميلة فى « مجمع المصورين القيصرى » ويتردد على متحف إرميتاج الشهير بآثاره الغالية . سافر الوالدان والولد إلى بطرسبرج فى قطار الليل بعد أن تزودوا للسياحة واستقروا فى فندق وضيع في حى « إيليانا » وهو خطٌّ المفلوكين ، ومرتع « البوهيمية » والنوَر ، لأن ما حملوه من المال المدخر لا يقوم بأودهم أياماً معدودة إذا هم اختاروا الاقامة فى أحد الأحياء الغنية . وبعد يوم من وصولهم ذهب الرجل وولده إلى دار الفنون الجميلة وعرضا طلبهما ، فقوبلا بالازدراء من الموظف المختص ، وقد دهش لجرأتهما على ترك الفلاحة فى الحقول لالحاق الولد بمعاهد التصوير والحفر ! فحنق براڤلوف والد الكسندر (ساشا) برافسكى على « الموظف المسؤول »

وخرج يتحامل على نفسه ، وصفق الباب وراءه صفقة كانت أشد وقعاً من الصفقة على صدغ الموظف الكبير ، وقد عقد النية على أن يلحق الفتى بالأكاديمية ولو أدى الأمر به إلى بيع أرضه وإنفاق آخر كوپيك من ماله وعقاره فى هذا السبيل ، وعاد إلى الفندق حيث كانت الوالدة المسكينة فى انتظارها ، فدفعه غضبه وكرامته المجروحة إلى أن يروى الحديث بحذافيره عليها ، وختمه باظهار رغبته التى تتردد فى صدره ، وكان صوته يتهدج ويداه ترتجفان حتى خشيت الأم (ناديا سيپيانا) عليه أن يصيبه سوء أو ينفجر شريان فى دماغه ، فيذهب ضحية الفالج نتيجة حبه الخير لولده ، فبكت وأجهشت وقبلت يد زوجها وطيبت خاطره ولكنها أبت أن يكون ولدها سبباً فى فقرها ، وهى التى تعلم أنه ليس من الغنى بحيث يحقق أمنيته وأمنيتها

(١) سترة طويلة لا تفتح من صدرها

بيْد أن الفلاح العنيد سعى فى الأمر دون علمها ، وكاد المسعى يكلل بالنجاح لولا أن علم به الموظف المسؤول بادارة الفنون ورفع إلى « المراجع العليا » مذكرة نفث فى دسمها سموم حقده ، وألقى ظلالاً من الشك على هذا الصنيع فأفشله ، فسافرت الأم مكسورة الخاطر ، موجعة القلب ، ناقمة على الدنيا ، واستمسك الشيخ بعزيمته لترقية ولده ، وسعى إلى توظيفه أولاً فى إدارة صغيرة كان رئيسها قريباً له ، بوظيفة لا يزيد مرتبها على عشرين روبلاً فى الشهر (١)

وقال له : « ساشا ! ولدى العزيز ! لاتمس هذا المرتب ، بل ادخره بأجمعه وإن شئت فابعث بقليل منه إلى والدتك ، لا على أنها محتاجة إليه ، ولكن لتشعر بأنها تشرب قدحاً من الشاى من عرق جبينك وكد يمينك ، فيكون له طعم ونكهة لا يعرف حلاوتهما إلا من كان فى براءتها ونقاوة قلبها ، أما البقية فأنفقها فى شراء الألوان والصور وأجور التعليم الليلى . أما مأكلك ومشربك ومسكنك وملبسك فأنا الكفيل بها . وتعلَّمْ ما استطعتَ ، وزاول من الفنون الجميلة ما شئت ، فإن لك يوماً ينتظرك فى الأكاديمية الإمبراطورية ؛ وإن جدران الارميتاج تنتظر لوحاتك بفارغ الصبر »

ولم يكن من ساشا إلا أن بكى وشكر أباه وقبل يده وهو يقول فى نفسه : يالها من حياة كالموت ! وربح خير منه الخسارة ! لقد ضاع حظى فى هذه الوظيفة ، ولكن من يدرى ؟

ولم يكن له أن يرضى من الغنيمة بالبقاء فى العاصمة ، يعيش حيناً فى كنف قريبه الموظف فى الحكومة وآناً يحفزه الشباب للوثب والمغامرة فيأوى إلى نُزل صغير فى حى نيكولسكوى لقربه من الدواوين وبُعده عن مركز الثراء والزهو فى العاصمة حيث مراتع الغزلان ، ومواطن الفتنة ، ومعارض الزينة الرائعة ، ومظاهر الغِنى والنشب ، وكان لأول عهده ببطرسبرج (وهى دنيا عريضة بالنسبة لأورالوف وعاصمة المقاطعة الشاملة لقريته) يدهش لما اجتمع لأهل هذه الحاضرة من أسباب الترف ، ودواعى الاسراف والتبذير ، ومختلف المُتَع التى لا تنازعها إياها أية عاصمة أخرى

وكان إذا قادته قدماه إلى الأحياء الرائعة فى الثراء يتحرق على نعيم الدنيا الذى يرى آثارَه المغرية فى العجلات الجارية والسيارات المتسابقة ، والشوارع الرحبة ، والمخازن الحافلة بأنواع المتاجر ، والحوانيت الزاخرة بثمين الحلى والجواهر ، والعمائر العالية ذات الطبقات المعدودة ، والحدائق الغناء ، والظلال الوارفة للأشجار المنضدة ، والمغانى الآهلة بالغوانى ، والمراقص المرددة لرنات المثالث والمثانى ، ويرمق بعين الدهشة جماعة المياسير الذين اتخذوا من الحياة تلهية ، ومن أسباب المسرات وسيلة لمدافعة الملل وإيقاظ الشهوات التى رانت عليها التخمة والسآمة فزهدوا فيها وتعلقوا بها فى آن ، يأكلون من الأطعمة أشهاها وأحلاها ، ويعيشون أرغد الحياة وأترفها ، معافين فى أبدانهم ، لا يأخذهم حر ، ولا يزعجهم برد ، ولا يعوقهم عن السعى إلى ملذاتهم مطر ولا رعد ، إن أدركتهم علة فالأطباء والصيادلة لديهم يحضرون ، وإن طاف بهم طائف الضجر فألف وسيلة تطرده عنهم وهم لاهون ، يسيرون فى الأرض مختالين فخورين ، يكادون يهتفون بالناس

(١) الروبل عملة روسية قديمة قيمتها إثنا عشر قرشاً

« أن انظروا ! وسبحوا وإن شئتم فاحسدوا »
متوهمين راحة الضمير وقرة العين بما قسمه الحظ لهم من صنوف المنح على رغم أنوف الحاقدين والمحرومين...

ولو أن ساشا برافسكى كان من معدن غير معدنه لسخط وحقد ، ولاتهم الزمان والمكان والناس بأنهم سبب ما يعانى من حرمان وفقر ؛ وساءه أن أمه المسكينة كانت ترجو أن تباهى به العاصمتين[1] وهى جاثمة فى كسر بيتها القروى . ولو أنها رأته الآن لانزوت خجلا من بساطة شأنه وهو يطوى شوارع المدينة الكبرى على قدميه صباح مساء ، وأعظم منه شأناً فى نظره تلك النحلة الواقفة على زهرة فى غابة لفاء تبحث فى حناياها عن رزقها المقسوم . وفى تلك اللحظات كان يتذكر ماضيه القريب وحياته فى حضن والديه وأحضان الطبيعة الساذجة ، والأحلام التى كانت تداعب مخيلته الفتية وترسم أمامه مستقبله فى معاهد الفنون كأحد طلابها النابغين ، وكان قليل الذهاب إلى الكنيسة ، ولم يجد فى العاصمة ما يغذى فى نفسه عاطفة الدين

وقد كان أصدقاؤه الأولون من طبقة الموجيك مؤمنين وفى قلوبهم ذرة من الجحود الذى سببه الفقر والجهل ، أما أصدقاؤه فى العاصمة فملحدون ، وليس فى قلوبهم شعاع من الإيمان ! وكان فى وسعه أن يغشى دار قريبه ، حيث يلقى الترحيب والاكرام ولكنه كان من التعفف والإباء بحيث يعز عليه أن يفطن أحد من أقاربه إلى سوء حاله . ومن هنا تعرف الكسندر (ساشا) بطائفة من الشبان الذين ساعدهم الدهر بالانضمام إلى صفوف الأكاديمية ، والفتيات اللواتى تحررن وغلبن آباءهن على أمرهم وأقنعنهم بمشاركة الشبان فى اجتناء ثمار العلوم العالية وتلقى العلم معهم على أستاذ واحد فى صفوف الجامعة

وفى اجتماع للطلاب والطالبات التقى بدليانا التى كانت تعاشر كهلا من كهول الثورة على مضض ، وكانت إذا التقت بساشا فى حضرة الكهل لا تعير حديث عشيرها سمعاً ولا وعياً ولا لفتة ، مندفعة فى الاستيلاء على لب الشاب الفنان بحديثها الجذاب الذى كان ينصت إليه فلا يفوته من تعاريجه والتوآته حرف واحد ، وفى تلك الفترة كان ساشا قد أخذ بأهداب الفن وعرف لدى أساتذته بحسن الذوق ، ودقة البصر ، والقدرة على تميز الألوان ، وخلط الأصباغ ، ولكنه أبى أن يدخل الامتحان أو يعرض لوحاته . وكان يتقزز كلما تذكر الموظف الكهل ، ذلك السخيف الذى حرمه الالتحاق بالأكاديمية . وكان أبوه يبعث إليه بالرسائل ، ويأخذ عليه المواثيق أن يحتفظ فى قصره المأمول بمكان رحب ليصون فيه شيخوخة أمه من الفقر وذل المسغبة .

والأم تكتب إليه خفية أن يسرع فى إتمام عمله ليريح منه ما يكفى لإراحة والده المكدود من تعب السعى على الرزق والإكباب على الأرض التى تجودُ حيناً وتماطلُ أحياناً . فكان الولد يعد والديه وهو حانق ، لأنه ما زال فى رحاب الفن يؤمل أن يملك ناصيته ولو بعد حين . أما المرأة التى تعرفت إليه وأعجبت بفنه فقد استهوته وخدعته وحسنت له أن يوزع بين أقرانه رسالة أدبية ، وكان الكسندر سليم القلب حسن النية فلم يعلم ما تحويه الأوراق التى قبل تفريقها ، ولم تكن سوى المنشور الذى

(١) بطرسبرج وموسكو

أدى به إلى الخروج من العاصمة مكبلاً بالحديد إلى سجون سيبريا الموحشة وما زال ساشا يحفظه عن ظهر قلب كأنه إصحاح من العهد القديم ، يتلوه على مهل ، وأخذ يلقيه على مسامع صديقه فيكتور فيدورفسكي الذى أنصت إليه : « عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود سوف يتلو أبناء الأجيال المقبلة صفحات من تاريخها تقطر أسطرها دماً ، لأنها كُتبت بالخناجر فى لحوم الرجال ، ولا سيما العظماء منهم الذين دافعوا عن أوطانهم ضد المظالم الصارخة ، ووقفوا وجهاً لوجه حيال الدوقات (١) أهل الغدر والخنا

« عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود ، ويَحْشُر الحقُّ جل شأنه كل تلك الأمم فى يوم العرض العظيم ، ستبعث بعض النفوس سوداء كالفحم ، لأنها أبت أن تخرج من الدنيا إلا وقد أساءت إلى من أحسن إليها واستكبرت !

« عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود سيُكشَفُ للذين سمعوا بمجدها ، وقرأوا بدهشة الاعجاب ، عن أخلاقها المزجاة ، وفضائلها المزيفة ، وعظمتها الكاذبة تلك العظمة القائمة على الباطل فانهم سيعلمون أنهم كانوا من المخدوعين ...

« عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود سيعلم الذين شهدوا وأحفادهم مصرعها أن الله قد أهلك أكبر دولة بناها الشيطان واستعان فى بنائها بكل القوى الكامنة فى الظلام المرعب المخيف ، تلك القوى التى لبست وجوه الخفافيش لتخفى وراءها نجاسة الأجيال ، ورجس أعوانه ، وقسوة الضوارى الجائعة ، وإن الشيطان الأكبر بعد أن شاد هذا البناء المهول ودعمه وزينه وجمّله نصب أعواد ملاعبه لتابعيه ليلعبوا أدوارهم فلعبوها ، ولكن أنصاف البشر الذين شاركوهم تفوقوا عليهم وسبقوهم واختلقوا صنوفاً من الشر وألواناً من الأذى عجز عنها أعوان الشيطان فغضب إبليس وهدم البناء على رؤوس ساكنيه

« عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود ستفضح قوة القوى المسيطرة على الكون أسرارهم وتنشر بين أيدى الملأ أخبارهم التى دونوها بأقلامهم ونطقت بها ألسنتهم ، وتأتى أيديهم وأعينهم وجوارحهم شاهدة عليهم

« عند ما تزول القيصرية من الوجود سيترحم الملائكة والناس على الذين نبذوهم وأبغضوهم واحتقروهم واضطهدوهم وطاردوهم لأنهم ضحايا تلك الدولة وفرائسها البريئة ، فلا توجد حيلة ولا مكيدة ولا خبث ولا حيالة ولا فخ ولا نفاق ولا دسيسة إلا ووردت سجلات تاريخها المشؤوم

« لقد كان (المنبوذون) من أبناء الشعب عيالاً عليهم فى طمعهم وجشعهم ولؤمهم فتجسدت هذه الفظائع فى أرواح قادتهم وساستهم وزعمائهم ، فلم تعرف قلوبهم الرحمة ، ولم تذق نفوسهم الحنان ... يصفون العدل والحرية والمساواة كأنهم يشعرون بها ، ويتخذونها تُكأة ومسنداً للموجيك البائسين فى عزلتهم

« عند ما تزول القيصرية الظالمة من الوجود سينادى منادٍ فى السماء وفى الأرض : « ألا إنّ الأرض قد طُهّرت من المظالم التى أهرقت الدماء

(١) سادة روسيا القيصرية دوقات وغراندوقات

البريئة . ألا إن الأرضَ قد طُـهِّرَت من المظالم المفضوحة . ألا إن الأرض قد طهرت من النفاق والعدالة المزعومة . ألا إن الأرض قد طهرت من إجرام السياسة ورجس الحياة الملونة ومنكرات المجتمع . ألا إن الأرض قد طهرت من النفاق الأسود والخبث الأصفر . ألا إن الأرض قد طهرت من اللصوصية المزوقة والخيانة المستخفية والغـدر المندَسّ فى زوايا الخديعة . ألا إن الأرض قد أنقِـذَت من الـكذب المتغلب الذي قتل الصدق وضربه على أم رأسه بهراوة الباطل فصرعه وولغ فى دمه ...

« ألا إن الأرض قد خلت من مظاهر الدعوى بالفخار الـكاذب والخداع الذى طال أمد حكمه وفشا ظلمه وتحكمت إرادته فى ضمائر الشعب المغلوب على أمره

« ألا إن الأرض قد نظفت من التزوير والحنث في الأيمان والوعود الـكاذبة

« ألا إن الأرض قد نجت من الوعود الباطلة التى سموها « كلمة الشرف »

ألا إن الأرض قد طهرت من قطاع الطرق فى البر والبحر الذين لبسوا القبعات العالية وتقمشوا بالثياب الغالية ، وأخفوا أيديهم الملطخة بالدماء بقفازات من جلود ضحاياهم فى قلعة بطرس وبولص ، وفى سجون سيبريا التى يكتنفها الجليـد من كل حدب وجانب »

كان ساشا يتلو من الغيب كأنه يقرأ فى صحيفة مفتوحة بين يديه ، لا يقف ولا يتلعثم ولا ينسى ولا يخطئ ؛ حتى لقد ذهل فيكتور فيدوفسكى مما تلاه صديقه القديم ، ولـكنه لم يستطع أن يقف تيار حديثه الجارف فقال له :

« وكيف استطهرت هذا كله ؟ »

قال : عمراً طويلاً قضيته فى سجون سيبيريا ، كنت أتلوها صباح مساء ، حتى لقد جعلتها صلاتى لأنها سببت شقوتى وسجنى . أما المرأة دليانا فقد شنقوها ، نعم شنقوها فى بطرسبرج ، وأما والدتى التى كانت تنتظر البر والخير على يدى فقدماتت ولم تذق منهما شيئاً . والآن ها قد عثرت بك لتحملنى إلى ... السجن أو إلى القبر الأبدى . واغبرّ وجهه ، وارتعدت فرائصه ، ووقع على الأرض ميتاً ، فلم يكن سلامه إلا وداعاً ، وحديثه إلا نذيراً بدنو أجله . وكان مصيره إلى ... إلى المشرحة ...

محمد لطفى جمعة

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية

قرش	
٥٠	السنة الأولى فى مجلد واحد
٧٠	كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة فى مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد